

(١)

مكانة الشهداء ، ووجوب الأخذ بالأسباب .

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن لله (عز وجل) عبادًا اصطفاهم وخصهم بالشهادة ، حيث يقول سبحانه: {وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} ، وليس أدعى للأمل في رحمة الله تعالى ممن بذل روحه من أجل وطنه ، فينال مرتبة الشهادة، وهي تجارة لن تبور، يقول سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ} .

والشهادة في سبيل الله تعالى أقسام ؛ أعظمها : الشهادة في مواجهة العدو؛ دفاعًا عن الوطن، وابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ مِنْ نَهْرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ : فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ).

وهناك ألوان من الشهادة لا تقل قدرًا، ولا مكانة ؛ منها: كل من استشهد دفاعًا عن مقدرات الوطن ، وعملاً على رفعته ؛ كالشرطي الذي يحمي دور العبادة ، والذي يحمي السائحين ، والذي يحمي الآثار ، فيستشهد بسبب إخلاصه في عمله ، وكلُّ من على شاكلة هؤلاء فهو في سبيل الله تعالى ، كالموظف الذي يحرص على صيانة المال العام ، فيستشهد بسبب ذلك ، ومن قُتل دفاعًا عن نفسه ، أو عن غيره ، أو عن عرضه ، أو عرض غيره ، أو عن ماله ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ

(٢)

فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .

وللشهادة ثمراتها الطيبة ، منها: أن الشهداء لا يشعرون بألم القتل ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ)، ويأمنون من عذاب القبر وفتنته ، فقد قال رجل: يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قال: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً) ، ولا ينقطع عملهم الصالح أبداً ؛ يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ) ، ومنها: أن لهم الحياة الأبدية التي لا مثيل لها ، يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ} ، ومنها: أن الشهيد يُبعث مكرماً تفوح منه رائحة المسك ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ) ، ومنها: أن يبلغ طالب الشهادة منازل الشهداء وإن لم يستشهد على أرض المعركة ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ؛ سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه ، والتابعين .

إخوة الإسلام:

لقد عني الإسلام بالنظافة ، وجعلها ضرورة شرعية لحماية الإنسان من الأمراض والأضرار ، وهي صورة من صور الأخذ بالأسباب التي أمر بها ديننا الحنيف، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ)، فينبغي الأخذ بالأسباب، واتباع كل الطرق الوقائية والإرشادات الصحية ، والاهتمام بكل أنواع النظافة: البدن ، والمكان ، والطعام والشراب ، يقول الحق سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}، وهي نصف الإيمان ، قال (صلى الله عليه وسلم): (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ...) ، وشرط لصحة كثير من العبادات كالصلاة ، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} ، كما حننا (صلى الله عليه وسلم) على الاغتسال في مواطن عديدة ، كغسل الجمعة ، والعيدين ، وأمر بطهارة الفم ؛ تأكيداً على نظافة الجسد ، ودفعاً لأي رائحة كريهة ، أو ضرر قلّ أو كثر ، وعدم إيذاء الإنسان لأخيه الإنسان ، يقول (صلى الله عليه وسلم): (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ).

وكما عني الإسلام بالنظافة الشخصية، عني كذلك بالنظافة العامة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (طَهَّرُوا أَفْنِيَّتَكُمْ) ؛ والأفنية تشمل فناء البيت ، وفناء المدرسة ، والمصنع ، والمتنزهات العامة ، كما تتسع لتشمل الطرق ، والبيادين ، وغيرها ، فديننا دين النظافة ، والطهارة ، والجمال ، والرقي ، والتحضر ، وواجبنا أن نتعاون جميعاً على كل خير نافع لكل الناس ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

اللهم ارحم شهداءنا ، وطهر قلوبنا ، واحفظ مصرنا ، وسائر بلاد العالمين .